انبثاقات فلسفة الكائن-الكينونة من فلسفة إرادة القوة

قواسمي مراد*

ينطلق هيدغر من نيتشوية محض هيدغيرية حينما يؤكد على أن "إرادة القوة تحدد الطابع الأساسي لكل كائن"[1]. وبالارتكاز على مفهوم الكائن الذي يحيل إلى الأفق الذي سيدرج، بناء عليه، نيتشه في إشكاليته الخاصة، فإن هيدغر يقوم من حيث المبدأ بنسب الموقف النيتشوي المطروح إلى كل ما أمكن التقليد الإدلاء به بإزاء مفهوم إرادة القوة، مع شوبنهاور، شيلينغ، هيغل، ليبنتز.

إنه (أي هيدغر) يضيف بافتخار: "ليست التبعية سوى تبعية الصغر مقارنة بالعظمة"[2]. ومنذ العتبة الأولى لعمله الضخم يكشف هيدغر عن هذا الإنكار ويوضحه أكثر قائلا "لا يمكن الجزم أبدا بأن المذهب النيتشوي لإرادة القوة سيكون تابعا لليبنتز أو لهيغل أو لشلينغ، لأجل تعليق، انطلاقا من هذا التوكيد، كل تفكير متقدم"[3]. وفي ذلك يذهب إلى التقدير بأن ما "يتفق مع التفكير" فلسفيا هو بالأحرى "كينونة الكائن". ومن زاوية اليقين هذه يقارب هيدغر مفهوم "إرادة القوة" مصرحا، علاوة على أننا نعثر عليها "عبر مسار أحسن وأهم تقليد فلسفي ألماني"[4]، ولكن بادعاء استذكار "الكينونة المنسية" حقيقتها، فإن هيدغر لا يحتسب نفسه ضمن التقليد الذي يرى بأن نيتشه ينتمي إليه، لا من بوابة "كينونة الكائن" التي هي منظور هيدغر المفضل الذي يتملص عبره هيدغر، نفسه، والذي يمتحن نيتشه انطلاقا منه، بل ممّ يتعلّق بالإرادة التي يسحب عليها قصديته، والتي هي، الأمر الذي ينبغي قوله بحق هيدغر، أن مفهوم "إرادة القوة" لا

حاجة له. وهذا باعتراف نيتشه! ففي "جينيالوجيا الأخلاق" ألا يثبت نيتشه بأنه قد ضمن في مفاهيم "إرادة القوة" ترجمته لما يرى بأنه، أساسا، "غريزة حرية" ؟ وفي المقال الثامن عشر من "جينيالوجيا الأخلاق" الذي أشير إليه هنا[5]، فإن الأمر يتعلق حسب نيتشه كثيرا بقدر القوة على الفعل في هياكل الدول (حسب هوبز) أكثر من كونه متعلقا بقوة الإنسان في مواجهة الإنسان نفسه بما هي "وعي زائف"، أي بما هي أيضا "إرادة سوء تناول الذات" (الإيذاء الذاتي) الذي سيكون هو الإنسان من منظوره الخاص (وفقا للمسيحية). وبالتالي فإن المشهد الذي قدم نيتشه وفقا له إرادة القوة لا يسمح بأية كيفية كانت بتناول هذا المفهوم بالعود البسيط إلى الإرادة، وهذا هو الحال بغض النظر، في مجال آخر، عن الكيفية التي تمت بها مقاربة "الإرادة" من طرف: شوبنهاور، شلينغ، هيغل وليبنتز.

ضف إلى ذلك، فإن نيتشه قد ميز بعناية ما بين الإرادة ("لا توجد أية إرادة") و"إرادة شيء ما" (Vouloir de quelque chose) ("لا توجد أية إرادة، وإنما فقط إرادة . شيء ما"). كما أنه يضيف بأن فصل غاية الإرادة، الإرادة بما هي استعداد، فإن ذلك ليس سوى ما أجراه منظروا المعرفة، أي تحديدا مثلما رفض نيتشه إجراءه: "الإرادة مثلما يفهمونها، تحيل أيضا إلى الفكر ((pensée : وهم محض"[6]. وأخيرا، فإن تضايف رفض "الإرادة" ورفض "الفكر" يبين لدى نيتشه الذي يرفضها نعا وبقوة الـ"أنا فكر" والـ "أنا أريد" في المقال 16 في: ماوراء الخير والشر: "كما يوجد أشياء ضمنية مسالمة تعتقد أنه توجد "يقينيات مباشرة" مثلا "أنا أفكر" أو كما كانت خرافة شوبنهاور، "أنا أريد": كما لو أن المعرفة قد بدأت هاهنا في تحصيل موضوعها في الخلوص والتجرّد بما هي "شيء في ذاته" وأنه لا من جهة الذات ولا من

جهة الموضوع لا يتدخل الزيف. غير أن كلا من "اليقين المباشر"، "المعرفة المطلقة" و"الشيء في ذاته" تتضمن تناقضا وتعارضا، وهذا ما أكرره مائه مرة، لطالما كان علينا الحذر من غواية الكلمات!".

ما هو أفضل تفسير للنصوص التي يقترحها نيتشه فيما يتعلق بـ: ديكارت، شوبنهاور وحتى كانط؟ لا يمكن لنيتشه العثور على أفضل من الانفصال/ التخلص من المثالية الميتافيزيقية الكلاسيكية. وهو ما يمكن فهمه بسهولة: أن نقول مثل هيدغر بأن ***إرادة القوة*** مثلما مثلما يفهمها نيتشه تتلخص في الشيء نفسه الذي فكر فيه الفلاسفة الكبار قبله، "أحسن وأهم تقليد فلسفي ألماني"، إنها طريقة أخرى للقول بأنه مسموح التعرف في إرادة قوة نيتشه على مفهوم ذا صلة طالما فكر فيه، هيدغر، بأنها ذات علاقة مع تفكير الكينونة "الكينونة التي تطابق مع التفكير"[7] والتي لم يكن لنيتشه ولا للفلاسفة الكبار المذكورين سابقا، أعلاه أدنى فكرة عنها، وفقا لهيدغر.

علاوة على ذلك فإن هيدغر يعرض إرادة القوة بما هي "مفهوم" وبصورة أخرى تمثلا (Représentation) شارحا[8]: وهي نقطة أخرى مشكوك فيها بصدد تأويله لنيتشه. قبل كل شيء، فإن الارتباط بالتقليد الوطني (الانخراط) و، في هذا التقليد، الارتباط بتيار فلسفي قد يكون محددا، بصرامة، بما هو نمط تفسير في تاريخ الفلسفة؛ والذي كان ينبغي استخدامه بأكبر حذر ممكن. كما كان مطلوبا أيضا البحث قدر الإمكان عن أفضل معايير التفسير. زيادة على ذلك، وبالخصوص، يمكن قبل كل شيء التساؤل إن كان التفسير أحسن أنماط الوضوح الممكن لمن ينظر لمفهوم يمنح للفلسفة النيتشوية طابعها الخاص، والذي يضع نيتشه في موقف القطيعة مع الميتافيزيقا الكلاسيكية.

نيتشه، من جهته، لا ينظر أبدا إلا لتأويل هنا (interprétation là) حيث يرى الآخرون "المعرفة"[9]، كما أنه يسند هذا التأويل لإرادة القوة التي يستعملها كوسيلة للسيطرة عليه (على التأويل). ينتج عن ذلك أن ما يسمى "معرفة تعمل بما هي أداة قوة"[10].

وعبر رؤية كاركاتورية (ساخرة) في مقاربته لإرادة القوة، فإن هيدغر يضع هذا المفهوم في ظلال غير قبلية ملائمة لمعرفتها. وعليه، فبدلا من أن يكتشف منها إبداعا أصليا، فإن هيدغر يرى فيما يسميه مفهوما/تصورا(concept) لإرادة القوة استمرارية لنفس نمط التفكير المستعمل مسبقا من قبل فلاسفة الماضي. خصوصا وأنه يعرض إرادة القوة بما هي "ماهية الكائن" أي بما هي "مفهوم".

هناك قرائن أخرى تسمح لنا بالشك في حسن نية هيدغر بصدد نيتشه، على الأقل فهي تقنعنا بطابع "الاعتراف" الذي يتميز به نيتشه هيدغر (نيتشه مقروءا من طرف هيدغر) وحتى طابع الـ"ذكريات رغما عنه ودون علمه"، وفقا للشذرة 6 من "ما وراء الخير والشر" التي تحدد جيدا "كل فلسفة كبرى".

فإن لم يكن ممكنا البتة الاعتماد على كل التعليقات الخاصة بفكر فلسفي عظيم فلعل الأمر يكون أسهل حينما لا يخضع شراحه أو مؤولوه لضوابط ابستمولوجية تاريخية صارمة. كما تكون أقل وطأة حينما يهتمون بهذا الفكر من وجهة نظر قائمة على سبيل الافتراض، حتما، كما هو الحال بالنسبة لهيدغر قارئا نيتشه بناء على قاعدة الكينونة والكائن. أما عما يهمنا هاهنا، رغم كل ذلك فإن"نيتشه" هيدغر بإمكانه، من منظور ما، أن يكون مهما، خصوصا فيما يتعلق بكل ما يمكن أن نحصله بخصوص هيدغر لا نيتشه.

معروفة هي القيمة المرتبطة بانتقادات الفلاسفة بالنظر لسابقيهم، أو حتى بالنظر إلى فلاسفة معاصرين لهم حينما يتصادف الأمر مع استحضارهم. فلنصدّق، مثلا، وهو ما قد يكون أمر واقع، بأن كل ماكتبه كاسير عن كانط، بوصفه سليل، ولهذا السبب تعبير عن موقف خطير تجاه خدمة الحقيقة الفلسفية، كما أن انتقادات هيغل لكانط قد تبدو اختزالا معتبرا لا يمكن تحصيله من فهم كانط بدلا من المساهمة في تعميقه وتوسيعه كما ينبغي، بل كما أرادته الهيغيلية.

كما أن هجمات نيتشه، في الآن معا، ضد كانط وهيغل تموضع نيتشه في علاقة مع هذين الفيلسوفين، ولكنها في صورة مختلفة هنا لا يمكن القول في الأخير سوى بفلسفة مرفوضة. ذاك هو سحر النظرية، وحسبما يؤكد نيتشه، أي أن تكون مرفوضة" مائة مرة"[11] وعليه ينبغي ألا نثق كثيرا في الخلائف (successeurs)، من المؤولين ومن الانتقادات.

فلكل هؤلاء من يلاحظ مصالحهم التاريخية؛ إذ يطلبون الحياة فيما وراءها (المصالح) كما ينشرون عادة مشاهد الفلسفة التي يدعون تفسيرها أو حتى استمرارها ليدخلوا بذلك في تاريخ الفلسفة شاء أم أبى. وبما أنه يمكن القبول بهذه الاعتبارات، فإنه لابد من الوعي بإمكانية تاريخ حقيقي للتأويل المرتبط بكتّاب فلاسفة بعينهم دون كتاب ينقل فلاسفة آخرين: يمكنه أن يحصل على مصلحته من ذاته بمجرد أن ينقل المعلومة من جانب تاريخ الأفكار بعامة ومن جانب تاريخ الحقب في سياقها التاريخ_اجتماعي، لذلك فلو قمنا بتكييف خدمة التحيز العادل للفكر النتشوي، فإنه سيكون ضروريا، لا مجرد إيجاد هيدغر المجنون خلف نيتشه خاصته، وإنما تعديل نيتشه le nietzsche الذي أنتجه، والذي يمكنه أن يضللنا بصدد نيتشه نفسه،

والانطلاق عموما من مضامين غير صحيحة لمتأولة (interprétes) أو هواة لفلسفة نيتشه بما هي محصلة في ذاتها بصورة حرة.

قد تكون هذه الرؤية مثالية، بل هي كذلك فعلا: النقد ضد "الشيء في ذاته" يبقى صالحا ضد "فلسفة في ذاتها" سواء كانت نيتشوية أو غير ذلك، غير أننا نعتقد أن ذلك ينبغي أن يكون ويبقى، على الأقل، مجرد رؤية مرغوبة من طرف كل من يشقى في مواجهة مؤلف ذا حد أدنى من الوسائط. هل يجب على سلطة الفيلسوف أن تخرّب بالضرورة، حرية الفكر؟

إنه من غير المقبول مقاربة إرادة القوة بالتناول العمدي، كما قام بذلك هيدغر[12]، توجيها لم بالأصل توجيها نيتشويا، بل هو توجه معارض كلية بما أنه يرتكز على اعتبار "الإرادة بما هي إرادة قوة"، فنيتشه لم يشأ دراسة الإرادة "بما هي" إرادة قوة، وإنما بمفهوم جديد قام باجتراحه بمفاهيم "الإرادة" و"القوة"، ولكن يوجد فيما بينهما السهم الديناميكي الذي هو حد«zur» الذي يفيد الاتحاد والتوجيه من خلال تكثيف حرف الجرّ والمادة Der wille zur macht. إرادة القوة هذه تفرض أن تكون موضوع سؤال (intérogé) في نمط ربطها، أي في اللغة الفرنسية حول الـde، مثلما أمكن التساؤل عنه مع جان فال Jean WAHL حول الـ de التي تربط في الفرنسية "الكينونة بالكائن"(l'être de l'étant) حينما يكتب: "إننا ننتكس (نسقط من جديد) في هذا المشكل الذي يطرح علينا المضاف إليه (le génitif). يوجد كائن بالكينونة، لا كائن إلا بالكينونة (إلا لأن هناك كينونة). ما معنى هذا الـ«de»؟ إنه ماهية، جوهر(essence) الوجود ذاته المشار إليه هاهنا بكيفية لا يمكننا توضيحها تماما".[13]

عموما، فإن ما يتعلق بنيتشه، فغير حقيق بأن إرادة القوة هي، بالنسبة لنيتشه، "ماهية الإرادة: سيكون ذلك موضوع حديث منظري المعرفة الذين تعهد نيتشه بإزالة آثارهم. والحال، أنه لن يكون موضوع نقاش بالنسبة لقارئ نيتشه ذاك البحث في فهم هايدغر لـ"المفهوم النيتشوي للإرادة"[14] باستثناء ما ظهر في مرحلة ما قبل عبارة "*إرادة القوة*"، ناهيك عن البحث عن "تحديد ماهية الإرادة"[15]. هيدغر الذي، في مجال آخر، قد أدرك رسالة نيتشه التي أشار إليها من دون أن يوضحها: "الإرادة ليست سوى كلمة"، "لا يوجد إرادة"[16]. وأن تكون هذه الرسالة، مع ذلك، غريبة إذ يدرج ضمن آفاقه الخاصة "نيتشه يفهم بهذا بأنه لا توجد إرادة بالمعنى الذي نعتقد فيه إلى غاية معرفتها وبالإمكان تسميتها بما هي ملكة فيزيائية ومجهودا كونيا".[17]

هاهنا هيدغر يفهم رفض نيتشه وإلقائه للتصور المثالي للإرادة، ولكن، فجأة، فإنه يتساءل كيف يمكننا التقدير بأنه لم يكن أي مُشترَك (commun) ما بين "مفهوم الإرادة لدى نيتشه والمفهوم المثالي لها.كما أنه، وفقا لما قمنا بعرضه، فإنه يبيّن بأنه لا مجال للمقارنة. وإن كان بالإمكان إنجازها كتحصيل معرفي، يفرض تشخيص أفضل للموقف الأصيل لنيتشه، فإنها ليست موضوع تبنّ واعتماد جدي حول سؤال العلاقة الكائن ما بين الإرادة وإرادة القوة.

إن كان هيدغر هاهنا قد خطط لهذه المقارنة وهذه العلاقة فإنما ذلك لأجل تحوير (infléchir) ما يسميه بالـ"مفهوم" النيتشوي للإرادة من داخل معنى المفهوم المثالي للإرادة. علاوة على ذلك، فإن كانت دعوة تمييز التصورين الذين تمت المقارنة بينهما هي دعوة ذات طابع عاطفي (passionnel)، والذي حسب هيدغر، ربطه نيتشه بـ "مفهوم الإرادة" الذي ندعي بأنه خاص به (أي بنيتشه)، فإنه كان ينبغي

أيضا مع هيدغر حينما طرح السؤال البلاغي(question rhétorique) حول:"ماذا يريد نيتشه قوله من خلال تحديد الطابع الوجداني (affectif) والعاطفي (الحماسي) (passionnel) للإرادة"[18]. تبعا لهذا السؤال يطور هيدغر، على مدى العديد من الصفحات، تأملات شخصية حول مفاهيم الوجدان (l'affect)، العاطفة والإحساس، ذلك أنه يقول بإمكانها (هذه المفاهيم) إلقاء الضوء على مفهوم إرادة القوة الذي يفترض أنه يسعى إلى تفسيره في هذه الصفحات نفسها.

إن إرادة القوة "*تفسير*"إرادة القوة لا يمكنها إطلاقا ولا ينبغي لها بكل صرامة أن ترتكز ببساطة على إنجاز حالة ما يكشفه نيتشه في تحليل الإرادة بما هي استعداد: تركيبة من العواطف (sentiments) والتغيرات (mouvements). على العكس من ذلك، فالأمر ليس سوى ما قمنا بتوضيح إرادة القوة على غرار ما يعرضها نيتشه فما يمكننا أن نفهمه بصورة أفضل مع نيتشه هو أن الإرادة مؤلّفة من مشاعر متعددة، جمع شعوري (pluralité de sentiments) والحركات على غرار ما يشير إليه نيتشه في شذرة: "ما-وراء الخير والشر" يستشهد، هيدغر، في موقع آخر، فهي(الإرادة) لا تُختَزَلُ، مع ذلك في عناصر هذا التحليل بصورة بسيطة ومحضة.

فـ"في كل إرادة يوجد، قبل شيء،تعدد للمشاعر، أي أن شعور الحالة التي نخرج منها، شعور الحالة التي نلجها، شعور الانتقال نفسه من حالة إلى أخرى، وعلاوة على ذلك إحساس ملازم للعضلة (muscle) التي تدخل اللعبة عبر التعود بمجرد ما "نريد"(voulons) وحتى من دون أن نحرّك ذراعا ولا ساقا"[19]. لو كان هناك اعتقاد في ارتقاء فهم إرادة القوة انطلاقا من هذا التحليل،رغم أنه حسي جدا، فلن يفهم أحد من الإجراء الأساسي للفكر النيتشوي: ذلك، أنه من منظور عام، فإنه

في كل مرة يطبق نيتشه إجراء التحليل، فذلك ليس سوى لمجرد تقرير تعديد هذا التحليل وليس لأجل بلوغ، بصورة مجردة، آخر بقايا الواقع العام بما هو كذلك، والذي لم يفكر في أية لحظة في اختزال تعدديته بالوصول إلى عناصره الأخيرة.

بين هذا وذاك، وتحديدا في هذا التحليل لواقع ما يعتقد كل إنسان بأنه كينونة "الإرادة" يلمّح نيتشه للسمك التوليفي لما يختزله الآخرون إلى تمثل مسطح (une plate représentation)؛ وإن توصل نيتشه إلى معرفة هذا التوليف (complexité) فذاك لأنه ينطلق من افتراض خاص به، ومرتبط أيضا بالواقع الذي يُقرُهُ بمفاهيم "إرادة القوة". والحال أن هيدغر يرفض على نيتشه أصالة المفهوم هذه (originalité): إنه يفسر بها كل شيء باستثناء حقيقتها، وهو ما حاول نيتشه تسميته بـ"الترجمة"(traduction) من دون ادعاء تحديدها بـ"كينونة" ولو للحظة في موضع آخر.

ينحدر مفهوم إرادة القوة بالنسبة لهيدغر، من تصور نيتشوي للإرادة والتي تنحدر بدورها من التأويل المثالي التقليدي للإرادة، المعروف منذ أرسطو(Aristote) والمفترض تأسيسه على التمثل، وبالتالي فقد كان ينبغي مسبقا القبول بالنزعة المثالية لأرسطوطاليس: وهو ما لا ننجزه. غير أنه واضح بالنسبة لنا بأن الجهد والإرادة لدى هيدغر فيما يلحق من صفحات "كتابه الضخم" لا يسعى سوى لتقزيم نيتشه، ورفض "العظمة" عن فلسفته.

بناء على مقدمات البحث هذه، المرفوضة على الإطلاق، من منظور النص النيتشوي، فإنه من الواضح بأن هيدغر، سيبدأ فيما يسعى إليه بخاصة، أي البرهنة على مثالية التصور النيتشوي لإرادة القوة. والحال أن اقتباس الشذرة 19 من: "ما وراء الخير والشر" تبين

بدقة العكس التام للتصور المثالي للإرادة. فبدلا من بيان الـ"تمثل" (فعل التمثل) والـ"تفكير" (فعل التفكير)، فإن نيتشه يدين بثبات وصرامة، ما لا يؤسس، بالنسبة له، سوى مجرد أوهام محضة وبسيطة تدين بوجودها لمنظري المعرفة.

إن أتيح لنيتشه قراءة هيدغر مؤوّلا نيتشه، فإنه لن يسعه سوى أن يدينه بلا تردد ثم يدرجه تحت طائلة "منظري المعرفة" هؤلاء، على الأقل بالنسبة لمن لا يفهم شيئا في التوليف (la complexité):

1-لا عن إرادة القوة،

2-ولا عن الإرادة بما هي استعداد مقسم بالتساوي، مشاع على جميع الناس بدرايتهم.

يبدو بأن هيدغر يفكر في الولوج بناء على التصور النيتشوي للإرادة إلى المفهوم النيتشوي "إرادة القوة"، كما لو أن الأمر يتعلق، مع إرادة القوة، بأولفة complexification مفهوم أكثر بساطة، ليبدو وكأنه نواة ابتدائية (élémentaire) لأكثر الأمور تعقيدا. وهكذا فإنه من دون شك، بفرض الاتفاق في تأويله، فإنه يشرع متراجعا في الفضول:"من يقول إرادة، يقول قوة، ومن يقول قوة، يقول إرادة".[20]

كما أن هيدغر توصل إلى التخلي عن هذا المفهوم في جمع **إرادة القوة** من جهة "الطابع الجوهري لكل كائن" مع **الإرادة**، من جهة أخرى، "بما هي الشعور المشترك بالمتعة"[21]. غير أنه يمكن أيضا التساؤل لماذا يضع نفسه في مثل هذا المأزق الذي لا فائدة منه إن لم يكن في خدمة طموح آخر يتمثل في فهم نيتشه مباشرة، بما هو نيتشه نفسه.

بالنسبة لهيدغر فإن الإرادة كما يفهمها نيتشه تنفتح على ذاتها لتبقى فارغة، و"إرادة القوة" هي التي تملؤ هذا الفراغ[22]، يواصل

هيدغر ليست إرادة القوة هي التي تبقى وفقا لتحليلاته، وإنما إرادة قوة مضافة: وهو ما يرى فيه هيدغر إرادة القوة بما هي "مختصة بكينونة وماهية الكائن"، بما هي "هذه الماهية عينها"[23]، حيث تنتج صيغة أخرى، هيدغيرية وليست نيتشوية: "إرادة القوة هي على الدوام إرادة ماهية"[24].

ولدى قراءة نيتشه من منظور الأنطولوجيا الهيدغيرية، فإن هيدغر ينظر لفلسفة المطرقة، تلك الفلسفة التي تعمل على "انبثاق المعرفة والماهية بفضل الضربات المتكررة"[25]. وبعد ذلك يربط فلسفة المطرقة، هذه،بسؤالين، أي بالسؤال الأخير وما قبله. سيكون السؤال ما قبل الأخير: "ما الكائن؟" (qu'est ce que l'étant) وأما السؤال الأخير فهو: "ما الكينونة؟" (qu'est ce que l'être). بالنسبة لهيدغر فالسؤال الأخير يختص بأعماق الفلسفة، انطلاقا من أن عمق الكائن هو المسؤول عنه (موضوع السؤال) (questionné)، فسؤال الكائن مطروح هاهنا بما هو "السؤال الهادي" (question conductrice)[26]. إن افتراض هذه الأسئلة المغايرة للأسئلة، ذلك أنها لا ترجع إلى أي تساؤل واقعي، هي بالنسبة لهيدغر فرصة تأويل إرادة القوة بالرجوع إلى سؤال أفلاطوني جديد بامتياز:

حينما "يتعلق الأمر بتأويلية الكائن بما هو إرادة قوة فإنه ينبغي على السؤال الذي يبحث الحقيقة، أي ماهية الحقيقة، أن يتدخل باستمرار"[27]. بهذا ينجح هيدغر في ربط غريزة الحرية التي هي إرادة القوة مع ما يفترض بالنسبة له بما هي ماهية الحقيقة!

فلنتذكر أن: حقيقة، روح، عقل، فكر، وعي، ضمير، وإرادة، بالنسبة لنيتشه، ليست سوى أوهاما لا طائل من استعمالها[28]، وهاهنا نحن لا نتحدث عن كلمات منطوقة ومكتوبة وإنما عن ماهيات

مُفتَرَضَة ومُتَمَثَلَة. وسنرى أنه سجين الوقت، ولكن في مجال آخر، فيما يختصه بمسألة التسمية (نزعة التسمية) عند نيتشه. والحال أنه ليس الحال نفسه لدى هيدغر، فلن يختص الأمر بأوهام، إذ تكون "اللغة، بالنسبة له مسكن الكينونة"، والذي سيكون المشكل بالنسبة له على غرار ما عبر عنه جان فال، أي: "أن نبحث للإنسان عن التعيين (désignation) الذي يسمح له بأن يكون في تجربته والذي لا يترجمه إلى تصور، كلمة واحدة لكينونة واحدة".[29]

مثلما يدعي هيدغر الافتراض من خلال مقاربة إرادة القوة، إذا كانت إرادة القوة فعليا هي هذا التعيين الذي يسمح لنا أن نكون في/داخل تجربتنا والذي لا يترجمنا إلى مفاهيم. ففي هذه الحالة ما كان ينبغي مقاربة مفهوم إرادة القوة مثلما فعل هيدغر باستثمارها كمفهوم: "**مفهوم**"، لا أساس له بالنسبة لنيتشه وما كان ينبغي أيضا أن يكون أيضا بالنسبة لهيدغر، هذا إن وجب حقيقة تعيين ما يسمى هيدغر بـ"كينونة الكائن". والحال أن ما يدعي هيدغر معرفته مع إرادة القوة مجرد ابتداء، وهو ما يحدده حينذاك بما هو مفهوم!

هذه العبارة اللغوية لـ "إرادة القوة" التي تحدد، بالنسبة لهيدغر، "الطابع العام للكائن"، بما أن "كل كائن هو، مع ذلك: إرادة قوة"[30]. لا يمكنها (أي العبارة) أن تجيب، في المقابل، عن السؤال "ما لكينونة عينها؟ "– إنه سؤال "معنى الكينونة"، لا سؤال "كينونة الكائن"-. زيادة على ذلك، فالجواب عمّ تكون إرادة القوة، يقول هيدغر، هو العود الأبدي للشيء عينه (نفسه): وبهذا فالفكرة الأساسية لميتافيزيقا نيتشه بالنسبة لهيدغر هي نظرية **العود الأبدي**، مثلما يعلنها نهاية الجزءI.

فأن تكون هناك، في نهاية المطاف، ميتافيزيقا لنيتشه، لم لا؟ ولكن أن تكون استمرارية للميتافيزيقا الكلاسيكية، فهذا هو موضوع

الشك. عموما، والمظهر هو الواقع الوحيد، فإن نيتشه يتناول الكينونة بما هي مجردة، وإرادة القوة بما هي الواقع الجواني الذي يحرك طغيان المفاهيم.

*أستاذ محاضر بجامعة مستغانم

الهوامش:

1. *Heidegger (M), Nietzsche, deux tomes, tr : Pierre Klossowski, Gallimard, Paris, 1971.*
2. *Op.cit, p40.*
3. *Ibid.*
4. *Op.cit, p39.*
5. *Nietzsche, généalogie de la morale, traduction, introduction et notes par : Kremer-Marietti , 10/18, Paris, Union générale d'éditions, 1974, XVIII.*
6. *Op.cit, XVI, 668.*
7. *Heidegger (M), Nietzsche I, p40.*
8. *Wahl (J), L'idée d'être chez Heidegger, les Cours de Sorbonne, C.D.U, Paris 1951, p3.*
9. *Nietzsche, généalogie de la morale, ibid. XVI.*
10. *Op.cit, 480.*
11. *Nietzsche (F), Par delà le bien et le mal, Librairie générale française, 1991, Paris, p18.*
12. *Kremer-Marietti (A), Les racines philosophiques de la science moderne, Bruxelles, Mardaga, 1987, pp53-59.*
13. *Wahl (J), op.cit, p.10.*
14. *Ibid.*
15. *Ibid.*
16. *Heidegger (M), Nietzsche I, p42.*
17. *Ibid.*
18. *Op.cit, 46.*
19. *Nietzsche (F), Par delà le bien et le mal, ibid. p19.*
20. *Heidegger (M), Nietzsche I, p45.*
21. *Op.cit. 53.*
22. *Op.cit. 61.*
23. *Op.cit. 62.*
24. *Ibid.*
25. *Op.cit. 66.*
26. *Op.cit. 67.*
27. *Op.cit. 68.*
28. *Nietzsche, généalogie de la morale, ibid. XVI.*
29. *Wahl (J), op.cit, p4.*
30. *Heidegger (M), Nietzsche I, p 25.*